بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دفني

— ٢ —

—١—

أيها الشعر [١] أيها الكنز . ياجوهرة العقل . ان عواصف القلب كزوابع البحر لن تستطيع أن تموق رداءك المتعدد الصبغة عن أن يجمع ألوانه ، لكن ما ان يراك السوقة وانت تلمع فوق جبهة نبيلة حتى تضطرب حواسهم لبريق سنائك النامل في أعينهم ، النامض على انهامهم ، فتطلق ألسنتهم بالنيل منك وقلوبهم تكاد تنخلع من الهلع .

—٢—

انما يغشى حماسة الالهام [٢] ضعاف النفوس . أولئك الذين لا يقوون على الاستقلال بعبئه والصبر على لظاه . وفيم تكبه [٣] والحياة تضاعفها نيران العاطفة ولكم من قبس الاهى تصيبنا ناره من حين الى حين . تلك هي الشمس وهو الحب وهى الحياة ومع ذلك فهل من أحد يود ان تنطفيء نارها . اننا نمزها ونحن ساخطون عليها .

—٣—

ـــ لقد استحقت إلهة الشعر [٤] ابتسامات التهكم وأمارات الاستهتار التى يستثيرها مرآها منذ أن اتجهت ببصرها الى الماهرين فاضطرب مقالها ونزل صدقها منزل الشك وحرم عليها ان تلم الحكمة وأصبحت اليوم اذا صاحت بعابري الطريق ان أفسحوا أفسح لها السائر فى غير هيبة ولا احترام

—٤—

يالك من فتاة لاعفة لها . ياليتك صمت وقرك ياسليلة ارفيوس . اذا ما كنت تذهبين الى حيث لا يليق بك الى الشوارع وملتقى الطرق تشدين الاغانى بصوتك المختنق المتهدج . اذا ما كنت تلصقين بجانب فمك باقة الشعر اللاذعة كالذبابة ، وبجانب عينك الزرقاء معنى الرمز المستهتر .

(١) فى هذا الجزء من القصيدة يتكلم الشاعر عن الشعر ويتطرق الى هجاء المجالس النيابية وهو فى ذلك ربما كان متأثرا بسقوطه المتوالى فى الانتخابات كما أنه يحقد على لامارتين وهيجو عندما تركا الشعر احتقارا لامره ليندمجا فى سلك السياسة . يتخذ الشاعر جانب الشعر ليدافع عنه معارضا بينه وبين الخطب السياسية التى تفنى بفناء ساعة القائها .

(٢) يقصد بحماسة الالهام حماسة الشعر .

(٣) أى تبكت الالهام أى الشعر .

(٤) وضعنا آلهة الشعر ونحن نعدل فى الحقيقة أن ننقل كلمة الميز Muse كما هى لان هذا اللفظ من جهة شبه أعمى ومن جهة أخرى متصل وله مدلول تاريخى لايؤديه قولنا آلهة الشعر وما علينا الا نقله من اليونان كما نقله غيرنا من الامم .

—٥—

لقد سقطت منذ حداثتك . لقى اليونان اسكرك عجوز [٥] بقبلته وكان أول من خلع عنك ثوب كهنوتك ثم أجلسك على فخذيه بين جماعة الشبان ، ولايزال على جبينك آثار من هفى قبلاته ! وفى ولائم هوراس كنت تغنين وأنت تثملين بالشراب ، وجاء فولتير فقادك الى البلاط تحت أبصارنا جميعا .

—٦—

يالك من قسيسة [٦] خبت نارها . هاهم أعظم الناس خطرا لايضعون على جباههم من تاجك الا بعضه . هاهم تقف أقدامهم وكأنما يتعثرون فى خطاياك حتى أنه لمن الاهانة لاحدهم الا يكون الا شاعرا . ينثرون أفكارهم مع رياح المنصة فتدور بها عمياء كالقدر ثم تحملها الى غير مستقر .

—٧—

متكبرون متعالون فى مواقفهم الكاذبة وان مادت الارض تحت أقدام أولئك التريبون [٧] خطيبهم الفانيــــه تملق الجماهير التى تلتف حولهم وتصفق لعباراتهم وتلك الجماهير الذين يتجددون باستمرار فى هذه المسارب الضيقة . هؤلاء النظارة لايحملون لأولئك الممثلين السياسيين الا ازهارا لا رائحة لها وما لها من غد فى أغلب الأحيان .

—٨—

انهم تحده جدران صالتهم حيث يقومون بألعابهم الكاذبة والشعب يسمع عن بعد ضوضاء مجادلاتهم ولكنه لاينظر الى تلك الالعاب الا كما ينظر أبناؤه ونساؤه مضطربين الى ذلك الحدث العجب . آلة البخار ذات المائة ذراع .

—٩—

ترى الفلاح للمتم يسخط عندما يوقف محراثه ويترك فلاحته لينتخب ومع ذلك هاهو أحد عاملي اليوم قد استقر فى أعماق نفسه احتقار ما نسميه الخلود . ذلك المحامى الذى يشك فى خلود النفس

(٥) يقصد به الشاعر هوميروس .

(٦) اللفظ الفرنسي Vestale واللاتينية Vestales وهو مشتق من Vesta الهة النار عند الرومان فال Vestala هى قسيسة تلك الالهة وكان أولئك القسيسات يخترن من بين الاطفال الذين لا يقل سنهم عن السادسة ولا يزيد عن العاشرة وتوكل اليهن طول حياتهن حماية النار المقدسة فى كل حالة فاذا انطفأت منها النار جلدوها وان خانت عفتها اعدموها ولا شك ان لفظ قسيسة لايحمل هذه المعانى كلفظ Vestala الذى له أصل اشتقاق معروف كما له معنى تاريخى .

(٧) يشبه الشاعر نواب فرنسا « بالتريبون الرومانى » من حيث ان كلا يمثل الشعب وفينى شاعرنا معروف بكرهه الحكم النيابى وهو ارستقراطى الاصل أو من الاشراف يفضل دائما الحكم الملكى ويدافع عن حقوق الملوك كما يظهر ذلك بوضوح فى قصيدته النبوءات Les Aracles حيث يشبه الدساتير بالرمال التى تنهار تحت من يتكيء عليها .